من المسئول عن تحديد جنس الوليد؟

يطالعنا التاريخ بأن المرغوب فى الحمل عند العرب، بوجه عام، هو الولد الذكر؛ ذلك لأنهم كانوا قوم عصبية وحروب، ورغبتهم فى الذكر مستمدة من طبيعة حياتهم[1]، ولذلك كان العربى، فى الجاهلية، يغضب إذا ولدت زوجته البنات، وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك فى أنصع بيان وأوجزه، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النحل: ٥٨- ٥٩. وقد ورد أيضا فى سورة الزخرف من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الزخرف : ١٥- ١٧.

---

(١) د. عبد السلام الترمانينى (١٩٨٤). الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ص٢٢٠.

وهكـذا، يحمّل الـزوج زوجته مسـئولية إنجابهـا للبنات وعدم إنجابها للذكور، فقد يضربها، وربما أصر على الزواج من غيرها، وقد يصـل به الغضب حدا يهجر معه زوجتـه، إذا هى ولدت له الأنثى، كمـا فعل أبو حمزة الضبـىّ، فقد هجر خيمة زوجتـه، وأخذ يبيت عنـد جيران له؛ لأن امرأته ولدت بنتا، فمر بخبائها يوما، وإذا هى تُرقِّصُها وهى تنشد:

مـا لأبـى حمزة لا يأتينـا وهو فى البيت الذى يلينا
يغضب إن لم نلد البنينـا والله مـا ذلك فـى أيدينـا
وإنمـا نأخـذ مـا أعطينـا ونحن كالأرض لزارعينـا
ننبت ما قد زرعوه فينـا

وما إن سمـع أبو حمزة هذا القول منها، حتـى غلبه حنان الأبوّة، فدخل البيت وقبّل رأس امرأته وابنتها!

ولابد لنا من الاعتراف بأننا قد ورثنا من أسلافنا هذه العادة البغيضة، فمن أصعب الصعوبات تغيير العادات الاجتماعية والموروثات الثقافية، وهـى تتأصل وتتجـذّر وتزداد سـوءا، كلما أطبق الجهل، واسـتحكم الانغلاق الفكرى، وقد تتعرض للتهاوى والضعف حينما يتفشى العلم؛ ليبدد بنوره ظلمات هذا الجهل، والتمسك بقيم وعادات ما أنزل الله بها من سـلطان، ولا نجد فى وصفهم وتقريعهم أبلـغ مما وصفهم وقرعهم بـه القـرآن العظيم، حيث جاء فيه من قـول الله تعالى: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ

ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النحل: من الآية ٥٩.

والحق أنى ما رأيت أمرا ينقلب فيها الحق إلى باطل، والباطلُ إلى حق، كهذا الأمر! وسنستعين بالعلم، الذى أفاض الله ببعضه على بعض عباده لنفند هذه القضية؛ إذ إن العلم وحده هو القادر على بيان الحقائق، وتبديد الخرافات. ومن هذه الخرافات الجاهلية، التى كانت سببا فى هدم بيوت كثيرة، أو تمخضت عنها مشاكل على المستوى الشخصى بل والقومى، «مقولة أن المرأة هى المسئولة عن جنس الجنين»! فما حقيقة هذه المقولة، التى قد يترتب عليها عواقب خطيرة، كتعدد الزوجات، أو طلاق الزوجة والتزوج بأخرى، انتظارا لما قد تنجبه من الولد. وقد نلتمس بعض العذر، لملك أمير، يريد أن يورث عرشه لولد يخلفه، بيد أن جُل هذه المشاكل ينتشر بين قطاع من البشر، الذين عادة لا يملكون من حطام الدنيا ما يورثونه لولدهم المنشود! وعلى النقيض، فهم أحوج ما يكونون إلى الاستقرار، والبعد عن ما يترتب على سلوكياتهم تلك، التى قد تقلب حياتهم رأسا على عقب، بينما أحوالهم المعيشية والاقتصادية لا تتحمل عواقب ذلك.

ونعود مرة أخرى إلى التاريخ، فهذا أبو نخلة، شاعر أموى، تزوج امرأة من عشيرته، فولدت له بنتا، فغمه ذلك، فطلقها تطليقة ثم ندم

وعاتبــه قومه فراجعها. فبينما هو فى بيته يوما، إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها، فحركه ذلك ورق لها، فأخذها يُنَزِّيها[1] ويقول:

يا بنت من لم يك ينهوى بنتــا ما كنت إلا خمسـة أو ستــا
حتـى حللـت فـى الحشا وحتى فتّت قلبى من جـوى فانفتّــا
لأنت خيـر مــن غـلام أنتــا[2] يصبـح مخمورا ويمسى سبتا[3]

وليــس كل زوج، ممــن اختبرهــم الله بنعمة البنــات، كأبى نخلة الشــاعر، رقيق المشــاعر، يثوب إلى رشــده، ويرجع إلى صائب رأيه، فيراجع زوجه، ويلم شمله.

رأى الطب القديم:

فــى رأى الطب القديــم أن الحيوانات المنوية نوعــان، وللمرأة أيضا بوقان، فإذا سقطت البويضة من اليمين أذكرت (أى أنتجت ذكرا)، وإذا ســقطت من اليســار أنثت. وإفراز عنق الرحم ذو طبيعتين مختلفتين، إفــراز حامضى يجــذب الحيوانــات الأنثويــة، وآخر قلــوى يجذب الذكرية. ويمكن إخضاع المرأة لنظام غذائى معين للتحكم فى حموضة أو قلوية الإفرازات، فالاغتســال بالخل فــى الأيام التى تلى العادة يوقف

---

(١) ينزيها: يهزها فى مهدها.
(٢) مخففة من أنتاً: منتفخ كبرا وتعاليا.
(٣) سبتا: السبت هو كثير النوم.

الإفرازات القلوية- و الاغتسال بكربونات الصوديوم يشجع الإفراز القلوى، فإذا فعلت هذا فى فترة الخصوبة القصوى عندما ترتفع درجة الحرارة ارتفاعا ملموسا يمكن أن تختار المرأة جنس الجنين[1].

وهذا الكلام فيه خلط بين الزائف والصحيح!

رأى العلم فى مسألة جنس المولود:

لقد فطنت زوجة أبى حمزة المتقدم ذكرها، بفطرتها النقية، إلى السبب الحقيقى أو المباشر فى كون جنس المولود ذكرا أو أنثى، حينما قالت:

ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا

وبيان ذلك على النحو التالى:

يشارك الرجل بنصف الثروة الوراثية فى ذريته، كما تشارك المرأة بالنصف الآخر، إذ إن الجنين المتكون، بعد عملية الإخصاب، ينتج من اتحاد بويضة الأنثى بالحيوان المنوى الذكرى. وباختصار شديد فالمحدد لجنس الجنين- بقدرة الله تعالى- هو الرجل لا المرأة. فالمنى، الذى تم قذفه فى مهبل الأنثى، يحتوى على الحيوانات المنوية، كما أسلفنا. وهذه الحيوانات المنوية تنقسم إلى نوعين: النوع الأول يحمل

---

(١) د. محمد عبد المعطى الحتو (١٩٩٩). الإجهاض والاعتقاد. مدبولى الصغير. القاهرة. ص٩٦.

العوامل الوراثية، التى عند مشاركة أحدها فى الإخصاب، تؤدى إلى إنتاج مولود ذكر. أما النوع الآخر من الحيوانات المنوية، فيحمل عوامل وراثية أخرى، تؤدى عند مشاركة أحدها فى الإخصاب، إلى إنتاج مولود أنثى.

أى إن مشاركة النوع الأول من الحيوانات المنوية ينتج عنه مولود ذكر، أما إذا شارك النوع الثانى فى الإخصاب كان المولود أنثى. وهذا يبين أن جنس المولود يتحدد منذ اللحظة التى يتم فيها الإخصاب، وهو متوقف على نوع الحيوان المنوى، الذى يأتى من الذكر، ولا دخل للبويضة ولا للأم، التى جاءت منها، فى تحديد جنس المولود، بأى حال، وقد أشار القرآن الكريم، فى ومضة معجزة، إلى ذلك حيث جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ النجم: ٤٥- ٤٦.

إلا أن هناك من لا حظ فى بعض الحالات أن البيئة الرحمية، قد تحفز وتنشط نوعا معينا من الحيوانات المنوية، بحيث تشجعه دون غيره، على القيام بعملية الإخصاب، إلا أن ذلك لم يتم حسمه وإثباته بشكل قاطع، ويستلزم بحوثا مستفيضة لإثباته إن كان يقع بالفعل. وحتى إن ثبت ذلك فسيظل الحيوان المنوى الذى يأتى من الرجل هو السبب المباشر فى تحديد جنس الوليد، بقدرة الله تعالى وتقديره.

وثمة بحوث أخرى، يحاول فيها منفذوها عزل النوعين المختلفين من الحيوانات المنوية، لإمكان التحكم فى جنس الجنين، بيْد أنها

عمليات معقدة من الناحية التقنية، وهى عمليات مستنفدة للمال مستهلكة للجهد، فضلا عن أنها تُفقد تجربة الانفعال التلقائى الطبيعى، بما يمنحنا الله به من عطاء، مع أن نتيجتها، فى الوقت ذاته، ليست مضمونة تماما؛ ليتحقق قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ الشورى: ٤٩- ٥٠.